المخشلات الذهبية في الأغاني العراقية التراثية
(العران والخزامة انموذجاً)

م. د. بسام إبراهيم علي الخالدي
كلية العلوم السياحية/ الجامعة المستنصرية
bassamibrahim999@uomtansiriyah.edu.iq

الخلاصة:
لقد تناولت الأغنية التراثية العراقية العديد من المشغولات الذهبية والفضية التي كانت النساء يتزين بها مثل (الحجل – الخلخال – التراجي – السوار – المحبس – الحزام) وغيرها العديد من هذه القطع الجميلة ، ولكننا اليوم سنقوم بدراسة قطعتين من هذه الأعمال اليدوية الجميلة والنادرة والتي كانت تلبس في الأنف وهي (العران والخزامة) كما سنتطرق لأغاني تراثية كمثال على استخدام هذه القطع في وصف جمال المرأة التي كانت تتزين بها النساء في العراق حيث لم يقتصر استخدام مثل هذه القطع الفنية على منطقة جغرافية محددة في العراق لكن التسميات لنفس القطعة كانت قد تنوعت من مكان لآخر، مع تشابه الصيغة الفنية لهذه القطع ونوعية المعدن وطريقة الصناعة التي أصبحت اليوم من القطع التراثية التي بقت في ذاكرة الناس على شكل صور وبعض الأغاني هنا وهناك .
الكلمات المفتاحية : المخشلات، الأغاني التراثية، الصناعات المحلية، خرم الأنف، الموروثات الشعبية.

Golden Ornaments in Iraqi Heritage Songs
(Al-‘Aran and Al-Khuzama as a Model)

Assist. Prof. Dr. Bassam Ibrahim Ali Al-Khalidi
College of Tourism Sciences/ Al-Mustansiriyah University
bassamibrahim999@uomtansiriyah.edu.iq

Abstract

Iraqi heritage songs have addressed many golden and silver ornaments that women used to adorn themselves with, such as (Anklet, ankle bracelet, earrings, bracelet, ring, belt). Many beautiful and rare pieces are part of these traditional crafts. Today, we will delve into two of these beautiful and rare works, Which were worn on the nose, namely (Al-‘Aran and Al-Khuzama). We will also explore heritage songs as an example of how these ornaments were used to describe the beauty of women in Iraq.

The use of these ornaments was not limited to a specific geographical area in Iraq, as the same piece could have different names depending on the region, despite similarities in artistic style. The composition of the metal and the crafting method of these pieces have diversified, becoming part of people’s memory through images and certain songs that immortalize these traditional ornaments.

Key Word: Gold ornaments, traditional songs, local industries, nose, piercing, heritage.

المقدمة:

للأغنية العراقية ماضٍ عريق وغني بألوانه المتعددة من إيقاعات ومقامات ذات طبقات موسيقية مختلفة ، فهي تعكس التركيبة الفسيفسائية لمجتمع العراق وتراثه الزاخر لمناطقه المتعددة من شماله الى جنوبه ، وقد نشأت الأغنية العراقية التراثية من رحم هذا التنوع ، وعلى ما يبدو فأن الأغنية التراثية كانت قد انحدرت من الردات والبستات التي كانت تقرأ في المقامات العراقية ، فتختم بها مقاماتهم ، أو تلك التي كان يرددها الأهالي في أفراحهم ومسراتهم في بداية القرن العشرين ، وعلى الرغم من الطابع الحزين الذي تميزت به الأغنية العراقية بشكل عام ، إلا أنها تطرقت في كثير من الأحيان لمواضيع الفرح والحب ووصف الجمال الذي طالما تحلت به النساء العراقيات من قوام ممشوق وحسن العيون والشعر المسدول والضفائر الطويلة وغيرها من صفات الحسن والجمال الذي أخذت النساء العراقيات على عاتقهن الحفاظ عليه ، وقد صحب هذا الجمال الرباني حُلي ذهبية وفضية يدوية كانت تصنع بطريقة يدوية وحرفية ، والحلي هي كل ما يتزين به من مصوغ معدني أو من الحجارة ، والجمع حُلي [١] .

والزينة ما تتزين بها النساء من زينة قد تكون ظاهرة كالثياب أو بشكل حُلي تتحلا بها النساء كالخواتم والأقراط والأساور والقلائد والخلاخل وزينة الأنف كالوردة والخزامة والعران ، وكانت النساء يتزين بهذه المشغولات بأرجلهن ومعاصمهن وفي مناطق الرقبة والخصر والأذنين والأصابع ، وكان للأنف نصيبه من هذه الزينة فظهرت لنا (الوردة – الخزامة – العران) (صورة ١).

وعلى الرغم من الوزن الثقيل لهذه الحُلي إلا أن النساء العراقيات كن يضعن هذه القطع الثلاثة مجتمعة في الأنف أو قد توضع بشكل منفرد ، أما اليوم فقد أصبحت هذه القطع وبالأخص (العران) من النوادر بسبب عدم استخدامها من قبل النساء ، حيث تعتبر هذه الحُلي مظهراً من مظاهر الجمال لدى المرأة بشكل عام ، بالرغم من أن فكرة الزينة لم تقتصر على النساء فقط ، كون كل ما يُتزين به سواء كان للمرأة أو غيرها من الزينة كمعدن الذهب والفضة أو غيرهما من المعادن الاقل قيمة ، او قد تكون هذه الزينة من الأحجار أو الأصداف او الجلود او ما وهبته الطبيعة والتي هي من صنع الخالق العظيم لبني البشر ، كانت تستخدم كحلي للزينة ، وقد عرف الأنسان منذ القدم الحلي ووسائل الزينة المختلفة ، وقد ورد ذكر الحلي في القرآن الكريم في عدة مواضع ، ففي قوله سبحانه وتعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم ((أُولئك لهم جنت عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا))[٢] ، وفي قوله تعالى ((واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار)) [٣] .

وقد تناولت الأغنية التراثية العراقية العديد من المشغولات الذهبية والفضية التي كانت النساء يتزين بها مثل (الحجل – الخلخال – التراجي – السوار – المحبس – الحزام) وغيرها العديد من هذه القطع الجميلة ، ولكننا اليوم سنقوم بدراسة قطعتين من هذه الأعمال اليدوية الجميلة والنادرة والتي كانت تلبس في الأنف وهي (العران والخزامة) كما سنتطرق لأغاني تراثية كمثال على استخدام هذه القطع في وصف جمال المرأة التي كانت تتزين بها النساء .

المعنى اللغوي :

العِرَانُ : خشبة تُجعلُ في وترةِ أنف البعير وهو ما بين المنخرين ، وهو الذي يكون للبَخاتي ، والجمع أعرنة ، وعَرنَه يَعرنُهُ ويعرِنُه عَرّناً وضع في أنفه العِرَانُ ، فَهو مَعرُونٌ ، وعُرِنَ عَرناً : وَضَعَ في أنفِهِ العِرانَ ، فهو مَعرونٌ ، وعُرِنَ عَرناً : شكا انفهُ من العِرَانِ .

الأصمعيُ : الخشاشُ ما يكون من عُودٍ أو غيره يجعلُ في عظم أنف البَعيرِ ، وَالعِرانُ ما كان في اللحمِ فوقَ الأنفِ ، قالَ الأزهري : وأصلُ هذا من العَرَنِ والعَرينِ ، وهو اللحمُ [٤] .

وعرنين الأنف : تحت مجتمع الحاجبين ، وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم ، يقال هم شم العرانين ، والعرنين الأنف كله ، وقيل : هو ما صلب من عظمه ، قال ذو الرمة :

تثني النقاب على عرنين أرنبة شماء ما رنها بالمسك مرثوم

الخزامة : الخِزامُ جمع خِزامَةٍ ، وخَزَمَ الشئَ يَخزمُهُ خَزماً : شَكهُ ، والخزامةُ : بُرةٌ ، حَلَقَةٌ تُجعلُ في أحد جانبي مَنخري البعير ، قيل : هي حلقةٌ من شَعَر تُجعَل في وَترةِ أنفِهِ يُشدُ بها الزمامُ ، قال الليثُ : إن كانت من صُفر فهي برةٌ ، وإن كانت من شَعَر فهي خَزَامةٌ ، وقال غيرهُ : كل شئ ثَقَبتهُ فقد خَزَمتهُ [٥]

كما أطلق على الخزامة تسميات أخرى منها :

الزمامُ : (صور ٢) : زَمَ الشئ يَزُمهُ زَمَاً فَأنزَمَ : شَدهُ ، والزمامُ : ما زُمَ بهِ ، والجمعُ أزمةٌ ، والزمامُ : الحَبلُ الذي يُجعلُ في البُرةِ والخَشَبةِ ، وقد زُمَ البَعيرُ بالزمام ، وفي الحديث : لا زِمامَ ولا خِزامَ في الإسلام ، أرادَ ما كانَ عبادُ بني إسرائيلَ يفعلونهُ من زم الأنوفِ ، وهو أن يُخرقَ الأنفُ ويجعل فيه زِمامٌ كزمام الناقةِ لُتقادَ بهِ ، وقولُ الشاعر :

يا عَجَباً وقد رأيتُ عجباً حِمارَ قَبانٍ يَسُوق أرنباً
خاطِمها زأمها أن تذهبا فقلتُ : أردِفني فقالَ مَرحباً
وزَمَ البَعِيرُ بأنفهِ زَماً إذا رِفَعَ رَأسَهُ مِن ألمٍ يجدهُ وزَمَ برأسهِ زَمَاً (٦)

والزمام في اللغة بمعنى ما يُشد ويعلق به ، ومنه الزمام الذي تُشد به الأبل والفرس ، وكان يطلق على خرق وثقب الأنف ، ووضع حلقةٍ أو نحوها فيه ، وكانت العرب تطلق على ثقب الأنف ووضع الحلق فيه (الزمام) أو (الخزام) ، والى وقت قريب كان العران أو يوضع في أنف الثور ويربط به حبل ليسحب به الثور ويعرف بالزمام .

ولم يقتصر استخدام لفظة زمام على العراق فقط ، ففي مناطق النوبة في السودان عند قبائل (الكنوز) استخدمت لفضة (زمام) على الأقراط التي كانت تستخدمها المرأة النوبية سواء في شحمة الأذن أو في أعلاها ويكون شكلها هلالياً وقد صنعت من الذهب، بينما سمي ب(بلتاوى) عند قبائل (الفاتدجا) [٧]

ويقال اليوم على سبيل المثال ان فلان قد استلم زمام الأمور أي بمعني انه اخذ على عاتقه قيادة الأمور وهو المقدم عن غيره ، فالزمام يعني القيادة من المقدمة

الفريدة : (مصغر فردة) وهي قرص صغير من الذهب أو الفضة في وسطها شذرة زرقاء تضعها نساء البادية على جانب الأنف للزينة [٨].

وقد قيل أن من أسماء الخزامة (الشنف) على الرغم من ان الشنف هو القرط الذي يوضع في أعلى الأذن ويلفظ بفتح الشين ، وقد قيل أن الشَنف والقرط سواء [٩] ، وقد يُربط الشنف بسلسلة تمتد الى الحلقة المعلقة بالأنف فيطلق على القطعتين الخزامة أو الشنف .

وفي القاموس المحيط ان الشنف هو ما يعلق في أعلى الأذن أما ما علق في أسفلها فهو القرط ، وفي الصحاح أنه القرط الاعلى ، وجمع الشنف أشناف وشنوف ، وهو مصاغ من الذهب او الفضة يوضع بأعلى الاذن بعد ثقبها ومن شنف الاذن استعملت العرب في كلامها : المأثورة (فلان يشنف أذننا بحديثه او بغنائه) [١٠].

لقد رُبطت فكرة استخدام الزمام بالعبودية واخضاع العبيد الذين يقادون مثل النوق في بعض المجتمعات كمناطق أمريكا الشمالية وأفريقيا ، كما يعلل البعض استخدامها لدى النساء من هذه الفكرة ، كدليل على التسلط والسيطرة على النساء ، وقد يكون ذلك صحيح نوعاً ما في بعض الاماكن خارج العراق ، لكنها وبالتأكيد كانت ذو صفة جمالية وتزينيه لدى النساء العراقيات كونها ارتبطت بمكملات الزينة والتجميل المستخدمة في الافراح والمسرات لدى النساء .

كما أستخدم الزمام أو العران او الخزامة بالأنف وحتى الاقراط في شحمة الأذن بشكل اكثر بما يعرف بالنذور في بعض الأحيان ، حين تم ثقب هذه الأماكن في الجسم لدى الصبيان ، وهذا يجعل من استخدام هذه القطع ينطوي تحت فكرة الاستخدام كأفعال وطقوس وعادات معينة في بعض الأحيان .

الأغنية التراثية :

الأغنية التراثية أو ما يعرف بالأغنية الشعبية الموروثة هي تلك الأغنية التي ترتبط ببيئة ومكان جماعة ما من البشر مثل أهل الصحراء والريف والمناطق الساحلية والجبلية ، وتناقش هذه الأغاني مواضيع تخص بيئتهم التي فطروا عليها ، ولهذه الاغاني سعة أنتشار كبيرة ولها مؤلف أصلي ، ونظراً لسعة انتشارها فقد ظلت هذه الاغنية بكلماتها ولحنها ، في حين ذهب المؤلف طي النسيان [١١] ، وقد يكون بعضها مجهول المؤلف كونها نابعة من تراث المنطقة المتداول .

وقد تناولت هذه الأغاني مواضيع مختلفة كأن تكون مواضيع اجتماعية او حالات العمل والغزل والرثاء والهجاء او السخرية في بعض المنولوجات، كما تناولت هذه الاغاني انواع المهن والطبيعة من ثمار وازهار واشجار، وقد تفنن كتاب هذه الاغاني وملحنيها بالجمع بين الطبيعة والانسان الذي يقطن فيها، فجُمع الغزل مع الأرض وجُمع الجمال مع المشغولات الحرفية المتنوعة من ملابس وحلي وعطور ووسائل الزينة المختلفة التي تحلت بها النساء، وقد كان لصناعة الحلي نصيب من هذه الاغاني فتغنى كُتابها بالنساء اللوات يلبسن مختلف المصوغات في اماكن متعددة من اجسامهن ، ومن تلك الحلي جاءت مشغولات الأنف (الوردة والخزامة والعران)، هذه الأغاني ترد على أسماعنا باستمرار وبتواتر منذ أكثر من ثمانين سنة وهي من اغاني المنطقة المختلفة للعراق ، وهذا لا يجعل لهذه المشغولات فكرة أنها كانت تستخدم في المناطق الغربية أو الجنوبية فقط ، ولا يعزز الفكرة القائلة بأن الخزامة والوردة والعران هن من ملبوسات ومقتنيات نساء الجنوب والاهوار والأرياف حصراً، لكن الدلائل تشير الى استخدامها في مختلف مناطق العراق ، كما وصل تأثيرها الى المناطق القريبة من الحدود العراقية السورية كمنطقة الحسكة ودير الزور والبو كمال، وهذا لا ينفي استخدام الخزامة في مناطق متعددة من العالم لكنها تختلف عنها من حيث الطراز وسبب الاستخدام عن الخزامة العراقية التي رافقت في بعض الاحيان الوردة والعران في ملبوس واحد، ومن هذه الأغاني تأتي الأغنية الاكثر شعبية بين العراق وسوريا وهي أغنية :

كل الهلا بحبيبي الجان زعيلان طابج وردة وخزامة وبالوسط عران
كل الهلا بحبيبي الناشر زلفو يشبه عنز الجزيرة مضيع ولفو
والله لنطيك وصافه جان تعرفو أبو عيون الوسيعة وخدٍ ريان
كل الهلا بحبيبي ويا حبيبي يابو حجي يشبه كرط الزبيبي

وقد غُنت هذه الاغنية بفترات مختلفة وبطرق متعددة وذلك دليل على قوة تعابيرها ولحنها المقبول لدى مختلف المناطق كما غُنت في سوريا والاردن ولبنان ولغاية اليوم ، على الرغم أنها تعتبر من الاغاني التراثية المجهولة المؤلف والملحن .

ومن الاغاني العراقية التراثية التي تغنت بالمرأة التي تلبس الخزامة أغنية (أم الخزامة) للفنان الراحل (محمد عبد المحسن) وهي من كلمات الشاعر (كاظم الرويعي) وألحان (محمد نوشي)

مرت أم الخزامة على درب الشوك سمرة ويا محلا الشامة ألوجنتها تلوك
غصن الريم بطلعتها (أم الخزامة) سحر الحب بنظرتها (أم الخزامة)
وشعندة العاشك غير النظرة تخبي آلامه (أم الخزامة أم الخزامة)

(وفي البستة المعروفة ب (الماني ، الماني) سواء كانت قصيرة أم طويلة ترد ألينا الأغنية التالية وهي من أغاني الرعاة ، حيث يرد ذكر العران الذي يحمل الشذر)

يا يمه الماني الماني شيعي وآنه نصراني
شفته يورد حوليته نكش العجم وبريته
دادة وماني محاجيته طير شذري من عراني
شفته يمشي بذاك الصوب عينه مثل حرك الثوب
والله لو شفته هالنوب لانحر بيه العرباني [١٢]

وقد وردت هذه الأغنية التراثية لدى مناطق مختلفة من العراق في (هيت – الموصل – عنه – حديثة – تكريت – واسط – جنوب العراق) وعلية فقد اختلفت الصيغة النغمية والاضافات والحذف وأن النصوص تتغير لغة واداءً لحنياً من منطقة الى أخرى [١٣] ، بينما ظلت عبارة (طير شذرة من عراني) متواجدة في كل الاطوار والمناطق .

والعران حلية على شبه كبير بالخزامة غيرانه يعلق بين فتحتي الانف بعد احداث ثقب نافذ ، وينحدر ليغطي الشفتين ، وهو عادة من الذهب المحلى بالشذر وقد ورد ذكره في البيت التالي:

كل الهله بالغالي لو لاكاني جوه كلبي ايمجاور ما حاجاني
ردت حبة من المنحر ما خلاني دانش عكلو وارخصلي بفي العران

كما ورد ذكر الحلي الثلاث (الوردة والخزامة والعران) في بيت الشعر الشهير التالي :

كل الهله بالغالي لوجه أزعلان مطبج وردة وخزامة وبالوسط عران [١٤] .

كما ذكر العران في الأمثال الشعبية فنقول :

(**تعيش عمر النسر وتواسد ام عران وتنام نومة هنية لطلعة الميزان**) وهذا المثل يقال كدعاء للشخص الذي يطول عمره في حالة الزواج من المراءة الجميلة أم العران .

وهناك المثل الذي يقول (**جانت بلا والنوب جاها عران**)

والمثل القائل (**تموتين وما لبسج خزامة**) أي حتى لو تموتين فلن اعطيك الخزامة .

(لقد لعبت الحلي والمصوغات دورا هاما في حياة الشعوب ووجدانها وكانت وما زالت لها وظائفها المتعددة والهامة لدى كل الشعوب، وأخذت هذه الحلي ركنا هاما في احلام الشعوب وفي مخيلتها ، فلعبت هذه الحلي في تقوية ارادة شعوبها وأثارت حماسه وحفزت همته ، وأظهرت غناه وثراءه ، وأكدت ثقته بنفسه وأبرزت وجملت شخصيته ، بل وكانت من أصدق وسائل التعبير عن مشاعر ومعتقدات، وجمال وبصيرة ، وقدرة وتذوق ، وأسلوب حياة ، وثقافة كثير من الشعوب [١٥] .

نماذج الدراسة :

عُرف استعمال الحُلي في بلاد الرافدين قبل غيرها من البلدان، وكان الرجال والنساء يشنفون آذانهم بالأقراط ويتقلدون القلائد في اعناقهم ويزينون معاصمهم بالأساور وسواعدهم بالدمالج وأصابعهم بالخواتم ، وكانوا يصنعون حليهم من الحديد عندما كان عزيز الوجود ، وهم يتنافسون باقتنائه ، ثم أستبدل بالبرونز ، في حين كانت حلي الذهب والفضة نادرة جداً ، لكن المصاغ منها كان متقن بدرجة كبيرة ، في حين توضح الفترة بين (٢٥٠٠-٨٢٠ ق.م) مدى التطور والابهة والثراء للحلي السومرية [١٦] .

وقد جاءت حلي الأنف من ضمن مقتنيات زينة النساء العراقيات فاستخدمت الوردة التي كانت تلبس في الجهة اليمنى من الأنف ، أما الخزامة فكانت تلبس من الجهة اليسرى من الأنف وتعني أن هذه المرأة متزوجة ، أما إذا كانت تلبس العران فأنها بذلك تكون قد زوجت أولادها وبالحقيقة فأن هذه العادات لم تكن ثابتة ، فهناك قسم من النساء كُنَ يَلبسنَ جميع هذه القطع من أجل الزينة والجمال وليس استدلالً على أن هذه المرأة متزوجة أو العزباء .

(الخزامة والعران) :

الخزامة : (صور ٣) : وهي حَلية تُصنع بالعادة من الذهب وتكون على شكل نصف دائري وهي مطعمة غالباً بفصوص كثيرة من الشذر الناعم ذو اللون الأزرق ، وقد يكون هذا الشذر من نوع العادي (نايلون) او قد يكون من الأحجار الطبيعية المعروف بالرضوي او الفيروزي او النيشابوري او السينائي ، وتعلق بهذه الخزامات قطعة ذهبية تكون في أغلب الأحيان مستطيلة الشكل او بيضوية في بعض الأحيان وتعرف بالعامية ب(الدناديش) أو (البرابير) ، ولهذه الخزامات سلك رفيع مصنوع من

الذهب يتحرك الى الأعلى والاسفل بمفصل مثبت في أحدى جهتيها ، تعلق هذه الحلية على أرنبة الأنف بعد ثقبه ولا زالت هذه الحلية منتشرة الاستعمال في مناطق الأرياف من اقطر حتى ستينات وسبعينيات القرن الماضي ، وتتخذ بعض الخزامات احجاماً وأشكالاً متنوعة فهي أما دائرية او بيضوية او على شكل هلال ، ويتصل احد طرفيها العلوي بسلك ذهبي معقوف يدخل طرفه السائب في ثقب الانف ، وتعلق الخزامة بواسطته وغالباً ما تحلى حوافها بوريقات او حبيبات صغيرة من الذهب وتظهر في وسط الخزامة زخارف ونقوش بديعة وهي قريبة الشبه بالقرط وربما استخدمت الفضة في صناعتها وهذا نادر ، والخزامة هي اصغر حجماً من العران .

العران : (صورة ٤) :

وهو شبيه بالخزامة الى حد كبير إلا انه يُعلق اسفل الأنف بين فتحتيه بعد ثقب الموضع ، وتزين نهايته بقطع الشذر ، وقد يلبسه الأولاد منهم والبنات في حالة النذر أو للتدلل [١٧]

(صورة مهمة جدا من العدد ٢ ، سنة ١٩٧٣ ، ص ١٠٤ ، ويلبس العران في الأنف بعد ثقبه منذ الطفولة ، وقلما نجده في المناطق المتعلمة المثقفة ، ويستعمل بكثرة ، وعلى نطاق واسع ، كما ويستخدم في المناطق الريفية والشعبية في الموصل مثل منطقة وادي حجر والزنجيلي ورأس الجادة ، ويسمى بالمناطق الكردية (قرفلوك) ويصاحبه ما يعرف بالوردة وهي انواع ففي المناطق الريفية تحمل حبات (اللؤلؤ) وتسمى مليلوه وقد تكون مشذرة أي تحمل انواع مختلفة من الأحجار المعروفة لدى العراقيين بالشذر ومنها ما يعرف بأم التسع شذرات ، اما في المناطق الكردية فهي تشبه طاسة الرأس الذهبية [١٨] .

وفي مدينة (عنه) غرب العراق ، استخدمت حلي النساء بشكل واسع فجاءت :

١- الوردة : وهي حلية شبيهة بالوردة الحقيقية ، وتشتمل على عدة وريقات صغيرة مزدانة بالشذر ، وتتصل من منتصفها بسلك ذهبي صغير يدخل في ثقب الأنف .

٢- الخزامة : وهي من الذهب ، بيضوية الشكل تتصل من أحد أطرافها بسلك معقوف على شكل قوس ، وتعلق في ثقب الأنف ، وتحلى بالشذر والزخارف ، ويبدو أنها لغاية تلك الفترة كانت منتشرة الاستخدام في الأرياف .

٣- العران : وهو شبيه بالخزامة الى حد كبير إلا انه يعلق أسفل الأنف بين فتحتيه بعد ثقب المكان ، وتحلى نهايته بالشذر [١٩].

خرم الأنف :

هي عملية ثقب جلد أو غضروف الأنف، ويعد ثقب المنخر هو أكثر انواع ثقب الانف شيوعاً ، وتذكر بعض الدراسات ان اول من ثقب الأذن هم الفراعنة قبل ٤٨٠٠ عام قبل الميلاد ، وذلك في عهد الأسرة الثامنة عشر ، في حين ان عادة خرم الأنف تعود الى الاغريق عندما دخلوا مصر عقب فتح الاسكندر الأكبر ، فظهر ثقب الأنف واللسان في منحى عقابي ، فيعاقب الخونة والجواسيس بوضع حلقة في اللسان والأنف وهذا ما دلت عليه الآثار الهيلينية التي عثر عليها في مدينة الاسكندرية [٢٠] .

وفي العراق في الفترة المتأخرة فقد كانت تتم عملية ثقب الأنف بنفس طريقة ثقب الأذن ، فكانت تتم هذه العملية في المنازل، ولا يتم استخدام مواد مخدرة بالعادة ، فكانت النساء يقمن بهذه العملية في بيوتهم ، وذلك باستخدام قطع صغيرة ودقيقة من الأبر ، فيتم تسخين هذه الأبر وربطها بخيط دقيق ليتم ثقب هذه الأماكن بدقة وبسرعة ، وتكون هذه المرأة بالعادة من الجدات الكبيرات بالسن وذوات خبرة لا بأس بها بهذه العملية ، وهناك ما يعرف ب(الصُلبي) وهم من البدو من عشيرة (الصلبة) الذين يجوبون المناطق المختلفة من العراق وسوريا والمملكة العربية السعودية وغيرها، وهؤلاء يمارسون الطب الشعبي مستندين على الخبرة الموروثة في هذه الأعمال ، ويحمل هؤلاء الخزامات المصنوعة من معادن

رخيصة ، حيث يتم ثقب الانف أو الاذن وادخال القطعة المعدنية في الخرم الذي احدثوه ، وهناك العديد من القبائل في جميع انحاء العالم تمارس خرم الأنف حتى يومنا هذا كنوع من التقاليد والشعائر، ومنها القبائل البدوية والبربرية في الشرق الاوسط وافريقيا ، كما جلب الأباطرة المغول تقليد خرم الأنف الى الهند في القرن السادس عشر الميلادي، أما العظام الدقيقة ذات النهايات المدببة فقد استخدمت أيضاً في عملية ثقب هذه الاجزاء من الجسم وذلك في مناطق افريقيا وامريكا الجنوبية وحتى في مناطق معينة من اسيا ، في حين لم تستخدم هذه العادة في العراق .

طريقة الصناعة :

استخدمت اليد الماهرة في صناعة هذه الحلي في العراق ، وهي قطع فنية يدوية الصنع ، فكان يتم التعامل بمعدني الذهب والفضة في تشكل هذه القطع ، حيث يعتبر الذهب والفضة من المعادن الطيعة التي بالامكان تشكيلها بالصورة المراد تشكيل هذه القطع على أساسها ، وقد اتخذت هذه القطع أحجاماً وأشكالاً وأوزاناً متعددة ، فلم تكن هناك قاعدة واحدة في الصناعة ، بل ترك هذا الموضوع بيد الصانع ، أما الذهب او الفضة المستخدمة فهي من العيار العالي وقد يكون السبب في ذلك هو مرونة العيارات العالية اكثر من العيارات الواطئة حتى يتم ثنيها وادخالها في هذه المناطق الضيقة والعالية التحسس ، كما كان يتم تزين هذه الحُلي بقطع ذهبية صغيرة تكون متدلية من القطعة ، أو يتم استخدام فصوص صغير تعرف بالشذر تكون بالعادة زرقاء اللون ، كما يتم أضافة شذرات من العقيق او الياقوت الدقيق والصغير ، كما كان يتم وضع قطع من اللؤلؤ في بعض الاحيان ، أما الوزن فلم يكن هو الآخر ثابتاً بل كان كل صانع يشكل قطعة بالصيغة التي يراها جميلة ومناسبة لشكل القطعة التي بين يديه .

طوب أبو خزامة :

ومن باب الشيء بالشيء سنتطرق لما يعرف لدى البغداديون بطوب أبو خزام وهو المدفع الشهير الذي جاء مع حملة السلطان العثماني مراد الرابع ابن احمد خان (١٠٣٢-١٠٤٩ه/ ١٦٢٢-١٦٣٩م) الى العراق خلال حملته العسكرية وحصاره لبغداد في (٨ رجب من سنة ١٠٤٨ ه المصادف ١٥ تشرين الثاني ١٦٣٨م) هذا المدفع الذي صيغت حوله القصص والخرافات ومن ضمنها ان للمدفع تخسف بالقرب من فوهته وهي حقيقية ، ولكن الخرافة تبدأ تتحدث عن المدفع عندما كان يسير مع الجند القادمين لفتح بغداد فتوقف عن السير لسبب ما، فما كان من هذا الفعل إلا ان استفز السلطان فغضب عليه من موقفه هذا في تلك الساعات الحرجة فضربه السلطان بمجمع يده ، ونتيجة هذه الضربة حدث الغور أو الشق ، فكان يعتقد أن هذا المدفع كان يحمل خزامة في هذا الغور الذي يمثل أنف المدفع [٢١] ، ولما استعصى على السير لأمر السلطان فما كان منه إلا ونتله فخرم أنفه ، حيث وضعت خزامته التي تولدت من ذلك الخرم ، وكان يسحب منه حسب رأيهم [٢٢] .

وعلى الرغم من أن الإشارة لهذه الخزامة هو ذكر رمزي ، إلا ان هذا الذكر يبن لنا اهمية هذه الحلية التي كانت ضمن استخدامات المجتمع العراقي بصورة عامة ، ولكننا نفترض ان اسم طوب ابو خزامة كان خاطئاً كون الخزامة هي حلية استخدمت كزينة في انوف النساء بينما كان العران او الزمام هو الذي يستخدم لسحب الدواب فكان المفترض تسميته بطوب ابو زمام او طوب ابو عران كناية عن عملية السحب .

الصور

صورة (١)
صورة لاحدى النساء العراقيات ترتدي فيها الوردة والخزامة والعران

صورة (٢)
نماذج لما يعرف (الزمام)

صورة (٣)
نموذج لما يعرف ب (الخزامة) بوزن ٣,٦ غرام

صورة (٤)
نموذج بما يعرف ب (العران) بوزن ١٠,٦ غرام

الهوامش :

١) ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٩٨٣ .
٢) القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية ٣١ .
٣) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ، الآية ١٤٨ .
٤) ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ٢٩١٦ .
٥) ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١١٥٢ .
٦) ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٨٦٥ .
٧) زين العابدين ، الحُلي النوبية والعادات المميزة للتزين بها ، مجلة التراث الشعبي ، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والأعلام ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر ، الجمهورية العراقية – بغداد ، العددان ٩ – ١٠ ، السنة ١٩٨٤ ، ص ١٠٨
٨) الشهاوي ، صلاح عبد الستار ، الحُلي والزينة في الثقافة العربية والشعبية ، مجلة الثقافة الشعبية ، مجلة علمية متخصصة ، العدد ٩ ، ٢٠١٠ ، ص ١٤١.
٩) ابن منظور، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ص٢٣٤١
١٠) الشهاوي ، صلاح عبد الستار ، الحلي والزينة في الثقافة العربية والشعبية ، مجلة الشعبية ، مجلة علمية متخصصة ، العدد ٩ ، سنة ٢٠١٠ ، ص ١٤٠ .
١١) خليل ،عنايات محمد محمود ، استخدام الأغاني الشعبية الموروثة في تحسين سلوكيات تلاميذ المرحلة الابتدائية ، مجلة كلية التربية ، جامعة عين شمس ، العدد الخامس والأربعين (الجزء الأول) ، ٢٠٢١ ، ص ٥٧ .
١٢) جعفر ، عبد الأمير ، الأغنية الفلكلورية في العراق – خصائصها – أنواعها – أغراضها – دراسة نصوص ، مجلة التراث الشعبي ، الجمهورية العراقية ، بغداد ، العدد ٥ ، سنة ١٩٧٤ ، ص ٨٢ .
١٣) جعفر ،عبد الأمير ، الأغنية الفلكلورية في العراق – خصائصها – أنواعها – أغراضها – دراسة نصوص ، مجلة التراث الشعبي ، مطبعة العبايجي ، الجمهورية العراقية ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٦٩ . ١٢
١٤) العاني ، عبد العزيز حميد ، الحُلي الشعبية في محافظة الأنبار ، مجلة التراث الشعبي الجمهورية العراقية ، العدد ٤ ، سنة ١٩٨٤ ، ص ١١١ .
١٥) زين العابدين ،علي ، وظائف الحُلي الشعبية ودورها في الحياة ، مجلة التراث الشعبي ، الجمهورية العراقية ، العدد ١٢ ، سنة ١٩٧٧ .
١٦) قاشا ، سهيل ، الحُلي في وادي الرافدين ، مجلة التراث الشعبي ، الجمهورية العراقية ، العدد ٣ ، سنة ١٩٧٨ ، ص ١٢١ .
١٧) البياتي ، هادي منعم ، لمحة في حُلي النساء والأطفال ، مجلة التراث الشعبي ، العدد ١ ، سنة ١٩٧٦ ، ص ١١٣ .
١٨) جرجيس ، عبد الجبار محمد ، مجلة التراث الشعبي ، الجمهورية العراقية ، العدد ٢ ، سنة ١٩٧٣ ، ص ١٠٧ .
١٩) العاني ، عبد العزيز ، الحُلي الذهبية والفضية في مدينة عنه ، مجلة التراث الشعبي ، الجمهورية العراقية ، العدد ١٢ ، سنة ١٩٧٤ ، ص ١٠١ .
٢٠) Laha Magazine، Lahamag .com تخريم الأذن أصلها عربي من أي بلد
٢١) البياتي ، هادي منعم ، طوب أبو خزامة ، مجلة التراث الشعبي ، الجمهورية العراقية ، العدد ١٢ ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٤١ .
٢٢) الكرملي ، أنستاس ماري ، مجلة لغة العرب ، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية ، مطبعة الآداب ، ١٩١٤ .